عن الدنيا واهلها هينا لينا متواضعا محبا للمساكين حسن الاخلاق جوادا حييا من راه كان راى بعض الصحابة وكان النور يخرج من وجهه كثير العبادة يقرا في كل يوم وليلة سبعا من القران ولا يصلي ركعتي السنة في الغالب الا في بيته اتباعا للسنة وكان يحضر مجالسي دايما في جامع دمشق وقاسيون وقال الضيا شاهدت من الشيخ ابي عمر واخيه الموفق ونسيبه العماد ما ترويه عن الصحابة والاوليا الافراد فانساني حالهم اهلي واوطاني ثم عدت اليهم على نية الاقامة عسى ان اكون معهم في دار المقامة وقال ابن النجار كان الشيخ موفق الدين امام الحنابلة بالجامع وكان ثقة حجة نبيلا غزير الفضل كامل العقل شديد التثبت دايم السكوت حسن السمت نزها ورعا عابدا على قانون السلف على وجهه النور وعليه الوقار والهيبة ينتفع الرجل برويته قبل ان يسمع كلامه صنف التصانيف المليحة في المذهب والخلاف وقصده التلامذة والاصحاب وسار اسمه في البلاد واشتهر ذكره وكان حسن المعرفة بالحديث وله يد في علم العربية وقال عمر بن الحاجب الحافظ في معجمه هو امام الايمة ومفتي الامة خصه الله بالفضل الوافر والخاطر الماطر والعلم الكامل طنت بذكره الامصار وضنت بمثله الاعصار قد اخذ بمجامع الحقايق النقلية والعقلية فاما الحديث فهو سابق فرسانه واما الفقه فهو فارس ميدانه اعرف الناس بالفتيا وله المولفات الغزيرة وما اظن الزمان يسمح بمثله متواضع عند الخاصة والعامة حسن الاعتقاد ذو اناءة وحلم ووقار وكان مجلسه عامرا بالفقها والمحدثين واهل الخير وصار في اخر عمره اوحد كل احد وكان كثير العبادة دايم التهجد ولم ير مثل نفسه وقال ابو شامة كان شيخ الحنابلة موفق الدين اماما من ايمة المسلمين وعلما من اعلام الدين في العلم والعمل صنف كتبا حسانا في الفقه وغيره عارفا بمعاني الاخبار والاثار سمعت عليه اشيا وكان بعد موت اخيه ابي عمر هو الذي يوم بالجامع المظفري ويخطب يوم الجمعة اذا حضر فان لم يحضر فعبد الله بن ابي عمر هو الخطيب والامام واما في محراب الحنابلة بجامع دمشق فيصلي فيه الموفق اذا كان حاضرا في البلد واذا مضى الى الجبل صلى العماد اخو عبد الغني وبعد موت العماد كان يصلي فيه ابو سليمان بن الحافظ عبد الغني ما لم يحضر الموفق بين العشايين ينتقل هذا المحراب وجاه مرة الملك العزيز ابن العادل يزوره فصادفه يصلي فجلس بالقرب منه الى ان فرغ من صلاته ثم اجتمع به ولم يتجوز في صلاته وكان اذا فرغ من صلاة العشا الاخرة يمضي الى بيته بالرصيف ومعه من فقرا الحلقة من قدره الله تعالى فيقدم لهم ما تيسر ياكلونه معه ومن اطرف ما حكي لي عنه انه كان يجعل في عمامته ورقة مصرورة فيها رمل يرمل به ما يكتبه للناس من الفتاوى والاجازات وغيرها فاتفق ليلة خطفت عمامته فقال لخاطفها يا اخي خذ من العمامة الورقة المصرورة بما فيها ورد العمامة اغطي بها راسي وانت في اوسع الحل بما في الورقة فظن الخاطف انها فضة وراها ثقيلة فاخذها ورد العمامة وكانت صغيرة عتيقة فراى اخذ الورقة خيرا منها بدرجات فخلص الشيخ عمامته بهذا الوجه اللطيف وبلغني من غير وجه عن الامام ابي العباس بن تيمية رحمه الله تعالى انه قال ما دخل الشام بعد الاوزاعي افقه من الشيخ الموفق وقد افرد الحافظ الضيا سيرة الشيخ في جزءين وكذلك افردها الحافظ الذهبي قال ايضا كان رحمه الله اماما في القراات وتفسيرها اماما في علم الحديث ومشكلاته اماما في الفقه بل اوحد زمانه فيه اماما في علم الخلاف اوحد زمانه في الفرايض اماما في اصول الفقه اماما في النحو اماما في الحساب اماما في النجوم السيارة والمنازل ولما قدم بغداد قال له الشيخ ابو الفتح ابن المني اسكن هنا فان بغداد مفتقرة اليك وانت تخرج من بغداد ولا تخلف فيها مثلك وكان شيخنا العماد يعظم الشيخ الموفق تعظيما كثيرا ويدعو له ويقعد بين يديه كما يقعد المتعلم من العالم وسمعت الامام المفتي شيخنا ابا بكر محمد بن معالي بن غنيمة ببغداد يقول ما اعرف احدا في زماننا ادرك

بيان فضله

درجة

١٧

درجة الاجتهاد الا الموفق وسمعت ابا عمرو بن الصلاح المفتي يقول ما رايت مثل الشيخ الموفق وقال الشيخ عبد الله اليونيني ما اعتقد ان شخصا ممن رايته حصل له من الكمال في العلوم والصفات الحميدة التي يحصل بها الكمال سواه فانه رحمه الله كان كاملا في صورته ومعناه من الحسن والاحسان والحلم والسودد والعلوم المختلفة والاخلاق الجميلة والامور التي ما رايتها كملت في غيره وقد رايت من كرم اخلاقه وحسن عشرته ووفور حلمه وكثرة علمه وغزير فطنته وكمال مروته وكثرة حياه ودوام بشره وعزوف نفسه عن الدنيا واهلها والمناصب وارباها ما قد عجز عنه كبار الاوليا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما انعم الله على عبد افضل من ان يلهمه ذكره فقد ثبت بهذا ان الهام الذكر افضل من الكرامات وافضل الذكر ما يتعدى نفعه الى العباد وهو تعليم العلم والسنة واعظم من ذلك واحسن ما كان جبلة وطبعا كالحلم والكرم والعقل والحيا وكان الله قد جبله على خلق شريف وافرغ عليه المكارم افراغا واسبغ عليه النعم ولطف به في كل حال قال وكان لا يكاد يناظر احدا الا وهو يتبسم حتى قال بعض الناس هذا الشيخ يقتل خصمه بتبسمه قال واقام مدة يعمل حلقة يوم الجمعة بجامع دمشق يناظر فيها بعد الصلاة ثم ترك ذلك في اخر عمره وكان يشتغل عليه الناس من بكرة الى ارتفاع النهار ثم يقرا عليه بعد الظهر اما من الحديث او من تصانيفه الى المغرب وربما قرى عليه بعد المغرب وهو يتعشى وكان لا يرى لاحد ضجرا وربما تضرر في نفسه ولا يقول لاحد شيا ذكر شي من كراماته قال سبط ابن الجوزي حكى ابو عبد الله بن فضل الاعتكافي قال قلت في نفسي لو كان لي قدرة لبنيت للموفق مدرسة واعطيته كل يوم الف درهم قال فجيت بعد ايام فسلمت عليه فنظر الي وتبسم وقال اذا نوى الشخص نية كتب له اجرها وحكى ابو الحسن بن حمدان الجراحي قال كنت ابغض الحنابلة لما يشنع عليهم من سوء الاعتقاد فمرضت مرضا شديدا واقمت سبعة عشر يوما ما اتحرك وتمنيت الموت فلما كان وقت العشا جاني الموفق وقرا علي ايات وقال وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين ومسح على ظهري فاحسست بالعافية وقام فقلت يا جارية افتحي له الباب فقال انا اروح من حيث جيت وغاب عن عيني فقمت من ساعتي الى بيت الوضو فلما اصبحت دخلت الجامع فصليت الفجر خلف الموفق وصافحته فعصر يدي وقال احذر ان تقول شيا فقلت اقول واقول وقال قوام جامع دمشق كان ليلة يبيت في الجامع فيفتح له الابواب فيخرج ويعود وتغلق على حالها وحدث العفيف كاتب ابن احمد بن محمد البانياسي بعد موت الشيخ الموفق بايام قال رايت الشيخ الموفق على حافة النهر يتوضا فلما توضا اخذ قبقابه ومشى على الما الى الجانب الاخر ثم لبس القبقاب وصعد الى المدرسة يعني مدرسة اخيه ابي عمر ثم حلف كاتب بالله لقد رايته ومالي في الكذب حاجة وكتمت ذلك في حياته فقيل له هل راك قال لا ولم يكن ثم احد وذلك وقت الظهر فقيل له هل كانت رجلاه تغوص قال لا الا انه يمشي على وطاء رحمه الله تعالى وقرات بخط الحافظ الذهبي سمعت رفيقنا ابا طاهر احمد الدري سمعت الشيخ ابراهيم بن احمد ابن حاتم وزرته قبر الشيخ الموفق فقال سمعت الفقيه محمد اليونيني شيخنا يقول لرايت الشيخ الموفق يمشي على الما ذكر تصانيفه صنف الشيخ الموفق رحمه الله التصانيف الكثيرة الحسنة في المذهب فروعا واصولا وفي الحديث واللغة والزهد والرقايق وتصانيفه في اصول الدين في غاية الحسن اكثرها على طريقة ايمة المحدثين مشحونة بالاحاديث والاثار وبالاسانيد كما هي طريقة الامام احمد وايمة الحديث ولم يكن يرى الخوض مع المتكلمين في دقايق الكلام ولو كان بالرد عليهم وهذه طريقة احمد والمتقدمين وكان كثير المتابعة للمنقول في باب الاصول وغيره لا يرى اطلاق ما لم يوثر من العبارات ويامر بالاقرار والامرار لما في الكتاب والسنة من الصفات من غير تفسير ولا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تاويل ولا تعطيل فمن تصانيفه في اصول الدين البرهان في مسئلة القران جزء جواب مسئلة ورد

مطلب في ذكر تصانيفه

Copyright © King Saud University